بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الأدب القصصى والمسرحى – بالمفهوم الفنى – قد ولد فى مصر خلال تلك الفترة التى تمخضت عن ثورة ١٩ ؛ وذلك أيام أخرج الدكتور محمد حسين هيكل رواية « زينب » سنة ١٩١٢ ، وأخرج محمد تيمور قصة « فى القطار » سنة ١٩١٧ ، وألف إبراهيم رمزى مسرحية « أبطال المنصورة » سنة ١٩١٥ . ولكن هذا الأدب ظل وليداً لا يكاد يقوى على مواجهة النور خلال تلك الفترة التى شهدت الميلاد .

فلم يكن كتّابه العارفون يبلغون عدد أصابع اليد الواحدة ، ولم تكن الآثار التى تمثله تتعدى هذا العدد اليسير . بل إن بعض الكتاب كان يستحى أن يُعرف بأنه من كتاب هذا الفن ؛ حتى لقد استحى الدكتور محمد حسين هيكل حين أخرج زينب فى طبعتها الأولى أن يذكر اسمه عليها ، كما استحى أن يسميها قصة أو رواية ، وقال بدلا من ذلك – مناظر وأخلاق ريفية بقلم فلاح مصرى .

ولكن هذا الأدب قد بدأ يستقر ويتأصل فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ، حيث أسهمت تلك الثورة وما خلفته من آثار اجتماعية ونفسية وفكرية فى توجيه الحياة المصرية وجهة جديدة ، كان من نتائجها الالتفات إلى الأدب القصصى والمسرحى ، والإقبال عليه والتفنن فيه ؛ حتى اعتبرت هذه الفترة فترة ظهور

هذا الأدب حقيقة ؛ ففيها نما ونضج وأخذ مكانه بحق فى الأدب المصرى . وحسبنا أن نعرف أن كُتَّاب هذا الأدب أصبحوا يعدون بالعشرات وصار النتاج الذى يمثله يعد بالمئات . بل قد وجد جيل كامل من الكتاب المتخصصين لهذا الفن الأدبى ، بالإضافة إلى إسهام جيل الكتاب الكبار المعروفين بجولاتهم فى ميادين أخرى غير ميادين القصة والمسرح .

لهذا جعلتُ نقطة البداية لهذه الدراسة أعقاب ثورة ١٩ ؛ لأنه برغم أن ميلاد الأدب القصصى والمسرحى قد كان قبل ذلك بسنوات ، فالميلاد هنا ليس مهمًّا قدر أهمية الوجود الحقيقى الممثل فى النتاج الوفير المنوع الصالح للتصنيف والدراسة والتقويم . وقد شجع على إغفال سنوات الميلاد أنى قد درست النتاج الخاص بها فى كتاب سابق قد عرض لـ « تطور الأدب الحديث فى مصر » حتى قيام الحرب الكبرى الثانية . وعرض فيما عرض لهذه الأعمال القصصية والمسرحية التى مثلت ميلاد هذا الأدب فى مصر .

وقد اتخذت قيام الحرب العالمية الثانية نقطة انتهاء ، ليقينى من أن تلك الحرب — وما صحبها وتخلف عنها من آثار — تمثل نقطة تحول فى التاريخ الاجتماعى والفكرى والأدبى فى مصر ، كغيرها من بلاد كثيرة . فمع تلك الحرب تفتحت العيون على الاشتراكية التى كانت قد صُورت منْ قبل وكأنها شبح مخيف ، كما تعرف المفكرون على كثير من القيم الجديدة التى كانت تحجبها القوى المسيطرة قبل تلك الحرب ، وانفتح الأدب المصرى على الواقعية الاشتراكية كما عرفت عند الكتاب الروس ومن سار على دربهم . وكان من نتائج ذلك كله أن أصبح الأدب المصرى — وخاصة الأدب القصصى والمسرحى — يسلك دروباً جديدة ، ويعبر عن قيم أخرى غير التى كان يعرف

قبل تلك الحرب . وظهر نتيجة لذلك جيل جديد من كتاب الأدب القصصى والمسرحى يمثلون اتجاهاً متميزاً فى الأدب المصرى .

لهذا رأيت أن يكون للأدب المصرى من قيام تلك الحرب ، درس آخر مستقل عن هذا الدرس المتناول للأدب السابق على تلك الحرب . وأرجو أن يعين الله على إنجازه فى القريب .

وقد حرصت فى هذه الدراسة على تصنيف النتاج القصصى والمسرحى ما أمكن ، ثم الحديث عن السمات المشتركة بين كل صنف ، وتلمس الخصائص المميزة لكل عمل . وهذا من خلال عرض كل عمل عرضاً مستقلا يقوم على تحليله ونقده . ولكيلا تكون الأحكام تجريدية ، ولكى يقف الحديث على أرض من الواقع ، ولكى يعيش القارئ مع الأعمال نفسها فى لغتها وطريقة كاتبها ؛ رأيت أن أُتبع عرض كل عمل بإيراد نص منه برغم ما قد يبدو فى ذلك من إطالة . فأنا أومن بأن الأحكام الأدبية لا جدوى منها ما لم تؤيدها النصوص ، كما أومن بأن القارئ عن عمل أدبى يجب أن يعيش ما أمكن مع هذا العمل أكثر مما يعيش مع كلام الدارس .

فإن كنت قد وفقت إلى ما قصدت فهذا حسبى ولله أجزل الحمد ، وإن كانت الأخرى ، فهذا جهدى . وأسأل الله مزيداً من التوفيق . .

أحمد هيكل

القاهرة – يونية ١٩٥١

obeikandl.com

تمهيد

— ١ —

لقد خرجت مصر من ثورة ١٩١٩ ببعض المكاسب ، وخطت فى سبيل حريتها بعض الخطوات . فقد اضطرت بريطانيا إلى إعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، الذى نص على إنهاء الحماية المفروضة على البلاد ، ثم أعلن الاستقلال ، وصدر الدستور ، فسجل أن جميع السلطات مصدرها الأمة ، وقرر أن الحرية الشخصية مكفولة ، وأن حرية الرأى والصحافة مضمونة ، كما قرر حق الأمة فى حكم نفسها ، وحقها فى أن يكون لها برلمان يمثل إرادتها . ثم أجريت الانتخابات ، وافتتح البرلمان[1] ، وبدأت البلاد تستشعر الحرية والسيادة ، وتأمل أن تمضى فى طريق النصر ، محافظة على حقوقها بالدستور ، معلنة إرادتها بالبرلمان ، محققة لتلك الإرادة بالحكومة الوطنية .

غير أن هذا الأمل لم يعش طويلا ، فقد تآمر القصر والإنجليز على استقلال مصر الوليد ، وعلى دستورها الذى لم يجف مداده ، وعلى برلمانها الذى لم تطو أعلام الاحتفال به .

وقد ساعد بعض زعماء ثورة ١٩ على نجاح هذه المؤامرة ، وذلك بتعلقهم بالحكم وميلهم إلى السلطة ، وتمكينهم للأهواء الشخصية والمكاسب الذاتية .

وبرغم أن قوى العدوان المتحالفة ضد مكاسب الشعب قد حولت

---

(١) اقرأ تفصيل أحداث هذه السنوات فى كتاب : « فى أعقاب الثورة المصرية » لعبد الرحمن الرافعى ، جـ ١ ص ٣٩ وما بعدها .

الاستقلال إلى لفظ بلا معنى ، وجعلت من الحرية شهيداً تمزقه الحراب ، وأحالت النضال الوطنى إلى صراع حزبى ، وخلقت من الدستور ملهاة يعبث بها القصر والمستوزرون ، ومن البرلمان والحكومة مطمعاً يهرول نحوه هواة السلطة ومحترفو الحكم ؛ برغم ذلك كله قد التمعت فى تلك الفترة إشراقات كانت ذات أثر بالغ فى حياة مصر الاجتماعية والفكرية والأدبية . فقد بقيت الروح الوطنية حية نامية مناضلة ، تتطلع إلى غد أكثر إشراقاً ، وتبحث عن زعيم أعظم قدرة وأنفذ بصيرة ، كما أصبح الناس أشد تعلقاً بالحرية التى كسبوها بدمائهم ، وحاولوا جاهدين ممارستها وتأكيدها فى حياتهم ، مما جعل من تلك الفترة خطوة واسعة على طريق النصر .

— ٢ —

وكان لثورة سنة ١٩١٩ ومشاركة كل الطوائف الشعبية فيها ، ثم انتهائها ببعض المكاسب ، أثر واضح فى الشعور بالثقة عند أبناء الشعب ، الذين حملوا عبء النضال ثم استشعروا حلاوة النصر ، بعد أن ذاقوا ويلات الحرب ، ومن قبلها آثام الاحتلال .

وقد تحسنت الأحوال الاقتصادية فى أوائل تلك الفترة بعض الشىء ، حيث استشعر الناس الاستقرار والأمن ، بعد معاناة القلق والخوف ، وحيث أنشئت بعض المؤسسات الاقتصادية كبنك مصر وبنك التسليف . فقد أدى بدء الالتفات إلى الصناعة مع شركات بنك مصر ، إلى إتاحة الفرصة لطائفة من الأيدى العاملة ، على حين أنقذ بنك التسليف كثيراً من الفلاحين ، من أيدى المستغلين والمرابين[١] .

---

(١) انظر : تاريخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث للدكتور أمين مصطفى عفيفى عبد الله ص ٥٠٣ وما بعدها .

وقد أسهمت تلك العوامل فى نمو القوى الشعبية ، التى أحست كيانها وأدركت دورها ، وفرضت وجودها على القوى المتصارعة ، التى اضطرت إلى أن تحس هذا الكيان وتدرك هذا الدور .

غير أن هذه القوى الشعبية لم تستطع برغم ذلك أن تتصدر ، وهذا لعدم إمكانياتها المادية ، ولعدم اكتمال قوتها إلى الحد الذى يتيح لها تولى القيادة . فقد كانت السيطرة لا تزال فى أيدى الإقطاعيين ، الذين كانوا يلقبون بأصحاب المصالح الحقيقية[١] ، والذين كانوا يتولون الزعامة السياسية ويضمون إلى جانبهم من يتولون الزعامة الفكرية[٢] ، الأمر الذى أعطاهم مزيداً من القوة ، بل مزيداً من السيطرة . فجعل منهم أكثر الحكومات والبرلمانات وأهم السلطات التى تتصدر طبقات الشعب .

ولقد كان من أسباب بقاء الإقطاعيين مسيطرين على النفوذ والتصدر . أن ثورة ١٩ لم تلتفت إلى التغيير الاجتماعى فى حياة المصريين . أو بتعبير أدق ، لم يلتفت زعماء تلك الثورة إلى أن يجعلوا منها ثورة اجتماعية واقتصادية[٣] ، ولم يتجاوزوا بها هذا المجال السياسى الضيق ، الذى انتهى ببعض المكاسب التى تنازع عليها هؤلاء الزعماء . فقد ظلت الزراعة هى عماد الاقتصاد المصرى ، وبقيت معظم الأراضى الزراعية التى هى عماد هذا الاقتصاد ، فى أيدى الإقطاعيين . وقد سبب هذا الوضع كثيراً من الأضرار الاقتصادية والاجتماعية زيادة على الأضرار السياسية .

---

(١) انظر : الجريدة عدد ٢٣ مارس سنة ١٩٠٧ وعدد ١٣ يونية سنة ١٩٠٧ .

(٢) كان حزب الأمة يستكتب الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور طه حسين ، كما كان حزب الوفد يستكتب الأستاذ عباس العقاد ، والأستاذ سلامة موسى .

(٣) انظر : الميثاق الوطنى ص ٢٦ — ٢٧ .

لكن برغم عدم تصدر القوى الشعبية ، وبقاء الصدارة لطبقة الإقطاعيين ، قد كان لنمو القوى الشعبية أثر واضح فى حياة تلك الفترة ، وبخاصة من الناحية الأدبية ؛ فقد عنيت الفنون القصصية بهذه الطبقة ، التى برزت منذ ثورة ١٩ ؛ فاستلهمت جوانب من حياتها وصورت بعض شخصياتها وعالجت كثيراً من مشكلاتها .

هذا ولقد كان من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة استقرار تجربة تحرير المرأة . ومشاركتها فى كثير من المجالات السياسية والفكرية والاجتماعية . فبعد أن كان قاسم أمين فى الفترة السابقة ينادى للمرأة بالسفور ، ويرى الكثير من المعارضة بل المعاداة ؛ نرى المرأة فى هذه الفترة قد خرجت إلى كل مجالات الحياة وشاركت الرجل فى تلك المجالات مشاركة توشك أن تكون تامة . وكانت ثورة ١٩ قد ساعدت على هذه الدفعة ، حيث شجعت المرأة على الإسهام فى الحياة السياسية . حين خرجت أول مظاهرة نسوية سنة ١٩١٩ تطالب بالاستقلال وتحقيق مطالب البلاد[١] ، ثم تبع ذلك تأليف لجنة مركزية للسيدات الوفديات سنة ٢٢ ، شاركت فى حركة المقاطعة التى نظمها الوفد ضد الإنجليز على أثر اعتقال سعد للمرة الثانية[٢] . ثم دخلت المرأة الجامعة ، وواصلت مشاركتها فى الحياة العلمية . كذلك ألفت الجمعيات النسوية ، ومصت تسهم بشكل واضح فى الحياة الاجتماعية[٣] . وكان لاستقرار تجربة تحرير المرأة كذلك أثر واضح فى حياة تلك الفترة الأدبية ، وبخاصة

---

(١) انظر : ثورة سنة ١٩١٩ لعبد الرحمن الرافعى جـ ١ ص ١٣٧ — ١٤٠ .

(٢) انظر : حوليات مصر السياسية لأحمد شفيق — المقدمة جـ ٢ ص ٣٦٥ — ٣٦٧.

(٣) دخلت المرأة الجامعة لأول مرة سنة ١٩٢٩ (انظر تقويم جامعة القاهرة الصادر سنة ١٩٥٧ ص ٣٨٦) .

فى الفنون القصصية والمسرحية ؛ حيث أصبحت المرأة وتجاربها تمثل عناصر رئيسية فى القصص والروايات والمسرحيات ، دون حرج كهذا الحرج الذى كان يحسه من قبل بعض الكتاب ، حيث كانت المرأة وتجاربها من العورات التى يجب أن تسدل عليها الحجب .

— ٣ —

فإذا جاوزنا الجوانب السياسية والاجتماعية لتلك الفترة ، إلى تلمس الجوانب النفسية ، أو التعرف على « سيكلوجية » المجمع حينذاك ؛ رأينا أن النفسية الاجتماعية كانت — فى أوائل ذلك العهد — مزيجاً من الشعور باستقلال الشخصية المصرية . والإحساس بالحرية الفردية ، ثم من روح الثورة والرغبة فى التغيير .

أما بعد سنوات من ذلك العهد ، وبالأخص بعد اتضاح انحراف الزعامات ، وافتضاح حيل الاستعمار ، وانكشاف تآمر القصر ، وبعد تحول الاستقلال إلى حماية مقنعة ، والدستور إلى خديعة يتلهى بها المستوزرون ، وبعد التنكيل بكثير من المواطنين ، والضغط على الحريات والانتكاس بمكاسب الشعب ؛ بعد أن كان ذلك ، قد تحول البعض إلى الشعور بالمرارة والإحساس بخيبة الأمل ، مما أدى بطائفة إلى الانطواء على النفس أو العكوف على الذات أو الانعزال — فى البرج العاجى — عن القضايا السياسية والشئون المحلية .

وقد كان لهذه المشاعر بطرفيها أثر كذلك فى الحياة الأدبية ، وبخاصة حياة الأدب القصصى والمسرحى ؛ حيث رأينا بعض الأعمال تجنح إلى الاهتمام بذات الكاتب وحياته ، وذلك بدافع الشعور بالاستقلال الذاتى والإحساس

بالحرية الفردية . كما رأينا بعض الأعمال تميل إلى الاهتمام بالقضايا الذهنية المجردة والأساطير الرامزة القديمة ، وذلك بدافع الشعور بالانفصال عن الواقع المرير ، والحاجة إلى اللجوء إلى عالم أكثر طلاقة ، وإلى تعبير آمن عاقبة .

— ٤ —

وقد نمت الحياة الثقافية فى مصر بعد ثورة ١٩ ، وكان هذا النمو نتيجة لعوامل عديدة . ومن أهم تلك العوامل : تدعيم الجامعة ، واتضاح شخصيتها ، بعودة طلائع بعثاتها إلى الوطن ، وإسهام هذه الطلائع بنشاط واضح فى الحياة الثقافية . كما كان من أسباب تدعيم الجامعة واتضاح شخصيتها وضعها تحت إشراف الدولة سنة ١٩٢٥ .

كذلك كان من مظاهر نمو الحياة الثقافية فى مصر خلال تلك الفترة ، إصلاح الأزهر وإنشاء كلياته المتخصصة[١] . كما كان من مظاهر نمو الحياة الثقافية أيضاً توسع الدولة فى التعليم نسبيًّا ، وبخاصة فى مجال التعليم العام ، ثم ازدياد الاهتمام بتعليم المرأة ، وإيفاد كبير من البعثات[٢] التى لم تقتصر على الجانب الحكومى ، بل تعدته إلى الهيئات والمؤسسات ، التى يأتى فى مقدمتها بنك مصر ، حيث أوفد طائفة من أبناء الأمة للتخصص فى فنون مختلفة لينتفع بهم فى المجالات التى احتضنتها شركات البنك حينذاك[٣] . وكان من تلك

---

(١) انظر : الأزهر — تاريخه وتطوره — ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٢) انظر : تاريخ البعثات الحكومية لمحمد فؤاد شاكر (مكتوب على الآلة الكاتبة بمكتبة وزارة التربية برقم ١٢٠٨) .

(٣) انظر : فى أعقاب الثورة المصرية لعبد الرحمن الرافعى جـ ٢ ص ٢٦٨ .

البعثات بعثات للتخصص فى فنون التمثيل والإخراج . وليس من شك فى أن نمو الحياة الثقافية يستتبع بالضرورة نمو الأدب ، ويفسح المجال أمام الفنون الناشئة فيه كالفنون القصصية والمسرحية ، وبخاصة إذا كان رواد الحياة الثقافية من المشتغلين بهذه الفنون .

على أن هناك أجهزة أخرى غير هذه الأجهزة التعليمية الرسمية وغير الرسمية، قد أسهمت بشكل واضح فى النمو الثقافى الذى شهدته البلاد فى تلك السنين .

وقد كانت الصحافة أهم الأجهزة ؛ فقد استتبع الصراع الحزبى الذى كان سمة السياسة فى تلك الفترة ، أن أنشأ كل حزب صحيفة أو أكثر ، وكان هذا أساساً لخدمة أغراض الحزب ، ولكن، رؤى أن ملء الصحف بحديث السياسة وحدها لا يلفت أنظار القراء ، ولا يجلب كثيراً من الأنصار ، ومن هنا اهتمت الصحف الحزبية بالنواحى الثقافية التى لا صلة لها بالسياسة . وكان لتلك الصحف كتاب ، هم أساساً من الرواد الثقافيين ، لا من الزعماء السياسيين . وهكذا كان لحزب الوفد من الصحف : « البلاغ » و « كوكب الشرق » و « البلاغ الأسبوعى » ، وكان له من الكتاب — فى أوائل تلك الفترة — طائفة منهم عباس العقاد وسلامة موسى وعبد القادر حمزة . كذلك كان لحزب الأحرار من الصحف : « السياسة » و « السياسة الأسبوعية[1] » . كما كان له من الكتاب طائفة منهم : الدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور طه حسين ، والدكتور محمود عزمى .

---

(١) ظهرت « السياسة » فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ، وظهرت « السياسة الأسبوعية » فى ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ بمثابة ملحق أدبى للسياسة . وظهر « البلاغ » فى سنة ١٩٢٣ ، و « كوكب الشرق » فى سبتمبر سنة ١٩٢٤ ، و « البلاغ الأسبوعى » فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٦ (انظر تطور الصحافة المصرية لإبراهيم عبده ص ٢٠٦ وما بعدها) .

وقد كان كتاب صحف الوفد متأثرين بالثقافة الإنجليزية ، كما كان كتاب صحف الأحرار متأثرين بالثقافة الفرنسية[١] .

على أن الأمر لم يقتصر على هذه الصحف الحزبية ، أو ذات اللون الحزبى الواضح ؛ بل كانت هناك صحافة ثقافية ، أو ذات مسلك ثقافى فى الظاهر على الأقل ، وتمثل مجلتا الهلال والمقتطف هذا اللون من الصحافة ، وقد كان يغلب على الأولى الطابع الأدبى ، وعلى الثانية الطابع العلمى . وأصحاب كل من المجلتين من الشاميين المتمصرين .

كذلك لم يقف الأمر عند هذين اللونين من الصحافة المسهمة فى نمو الثقافة عن طريق الترويج للأحزاب السياسية حيناً ، وعن طريق إنجاح المؤسسات الشامية حيناً آخر ؛ بل إن صحافة وطنية ثقافية خالصة قد ولدت خلال تلك الفترة ، وأدت أجل الخدمات إلى البلاد فى تلك السنوات ، ومثّل ميلادها مرحلة تحول فى الحياة الثقافية والفكرية على السواء . وقد تمثلت هذه الصحافة فى مجلات : « الرسالة » و « الرواية »[٢] « والمجلة الجديدة »[٣] و « أبوللو »[٤] و « الفجر »[٥]

---

(١) وقد كان لون إحدى الثقافتين يتضح فى آثار إحدى الطائفتين ، على حين كان يتضح لون الثقافة الأخرى فى الطائفة المقابلة . فعلى حين نجد طه حسين يهتم مثلا ببودلير وينهج نهج ديكارت . نجد العقاد يهتم بتوماس هاردى ويأخذ طريق هازلت .

(٢) أنشأ هاتين المجلتين الأستاذ أحمد حسن الزيات ، الأولى فى يناير سنة ١٩٣٣ وظلت تصدر حتى سنة ١٩٥٣ . أما الثانية فظهرت فى فبراير سنة ١٩٣٧ وظلت إلى سنة ١٩٣٩ ثم ضمت إلى الرسالة .

(٣) أنشأ هذه المجلة أحمد خيرى سعيد سنة ١٩٢٥ وظلت حتى سنة ١٩٢٧ .

(٤) أنشأ هذه المجلة الدكتور أحمد زكى أبو شادى فى سبتمبر سنة ١٩٣٢ واستمرت عامين ، فكان آخر أعدادها فى ديسمبر سنة ١٩٣٤ .

(٥) أنشأ هذه المجلة سلامة موسى ١٩٢٩ .

و « الثقافة »[١] . وقد كان لهذه الصحف والمجلات جميعاً أثر واضح فى الحياة الأدبية وبخاصة القصصية والمسرحية ، حيث كانت مجالا لنشر القصص المؤلفة والمترجمة ، كما كانت مجالا للنقد الفنى المتصل بالقصص والمسرحيات .

وهناك جهاز آخر بعد جهاز الصحافة ، لا شك أنه قد أسهم بنصيب فى تنمية الثقافة فى تلك الفترة ، هذا الجهاز هو المسرح . فقد ازداد الاهتمام بهذا الجهاز ، وأنشئت الفرقة القومية وجعل على رأسها الشاعر خليل مطران[٢] . وكانت قد أنشئت قبلها فرق مسرحية أخرى كفرقة رمسيس[٣] ، وفرقة عزيز عيد ، وفرقة فاطمة رشدى . وقد أسهم هذا النشاط المسرحى الخصب فى إفساح آفاق المشاهدين ، بالإضافة إلى ما كان من إنضاج فن المسرحية ، و إخصاب أدبها شعراً ونثراً ؛ على ما سنرى حين يكون الحديث عن الأدب المسرحى فى تلك الفترة .

ولا يمكن فى مجال الحديث عن الأجهزة الثقافية وإسهامها فى التنمية الثقافية خلال ذاك العهد ، أن نغفل السينما ؛ فقد دخلت مصر لأول مرة خلال تلك الفترة[٤] ، وبرغم أنها بدأت بأفلام أجنبية صامتة ، وبأفلام عربية صامتة كذلك، ثم ثنت بأفلام ناطقة ولكنها هزيلة ؛ برغم ذلك ، قد أدت السينما

---

(١) أصدرت هذه المجلة لجنة التأليف والترجمة والنشر برياسة الأستاذ أحمد أمين فى يناير سنة ١٩٣٩ واستمرت ١٤ عاماً .

(٢) أنشئت هذه الفرقة سنة ١٩٣٥ .

(٣) أنشئت فرقة رمسيس سنة ١٩٢٣ .

(٤) ظهر أول فيلم مصرى صامت سنة ١٩٢٧ وهو فيلم ليلى. ثم ظهر أول فيلم مصرى ناطق سنة ١٩٣٥ وهو أولاد الذوات . انظر : عدد الأخبار الصادر فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ .

بدورها خدمات لا تنكر فى مجال تنمية الثقافة ، وبخاصة الثقافة القصصية والروائية .

كذلك لا يمكن أن تغفل الإذاعة فى مجال الحديث عن الأجهزة الثقافية التى عرفت فى تلك الفترة ، فقد دخل المذياع إلى مصر لأول مرة خلال هذه السنين ، وبرغم أنه بدأ يتلقى إذاعات إعلانية ومواد ترفيهية هزيلة : مما كانت ترسله المحطات الأهلية المحلية ، فإنه ما لبث أن خضع لإشراف الدولة[١] ، واهتم بالمواد الثقافية ، بل تجاوز ذلك إلى الاهتمام بالمواد الأدبية الخالصة ، التى من أهمها القصص والتمثيليات .

وقد شهدت تلك الفترة تحولا خطيراً فى الحياة الفكرية . وقد تمثل هذا التحول فى تغلب التيار الفكرى المتجه إلى الغرب ، والمستدبر للشرق ، والقائم أولا على الشعور الوطنى لا الإسلامى ولا العربى ، والمهتم ثانياً بالارتباط بالواقع المحلى ، واتخاذ الغرب مثلا أعلى لترقية هذا الواقع والنهوض به ، ثم المبتعد آخر الأمر عن التراث وتمجيده[٢] .

وقد كانت هناك أسباب عديدة دفعت بهذا الاتجاه الفكرى إلى الأمام ، بعد أن كان فى الفترة السابقة يأتى فى المحل الثانى ، ويكاد ينحصر تفوقه

---

(١) وجدت محطات إرسال وإذاعات أهلية ساذجة قبيل سنة ١٩٣٢ كان يديرها بعض تجار الراديو ثم أصبحت الإذاعة تحت إشراف الدولة فى مايو سنة ١٩٣٤ . وكانت تديرها شركة ماركونى تحت إشراف وزارة الداخلية حيناً وتحت إشراف وزارة المواصلات حيناً ، وتحت إشراف وزارة الشئون فى بعض الأحايين . ثم أنهت الحكومة المصرية عقدها مع شركة ماركونى وصيرت الإذاعة جهازاً مصرياً لحماً ودماً فى مايو سنة ١٩٤٧ .

(٢) اقرأ ما ورد عن هذا التيار فى : « تطور الأدب الحديث فى مصر » للمؤلف الفصل الثالث — المقال ٢ — « مراحل النضال وطرائقه » وانظر مراجع هذا المقال .

فى المجال السياسى والإصلاحى فحسب ، مع ترك التفوق فى المجال الفكرى والأدبى للاتجاه المحافظ ، المؤمن أساساً بالفكرة الإسلامية ، والمتجه ابتداء إلى تطوير الحاضر بالاتكاء على أمجاد الماضى ، وعدم الافتتان بكل ما هو غربى (١) .

أما أهم تلك الأسباب التى جعلت من الاتجاه الغربى اتجاهاً رئيسياً متفوقاً ، ودفعت به إلى الأمام فى المجال الفكرى والأدبى ، فأهمها : تلك الروح التى خلقتها الحرب العالمية الأولى ، ومن بعدها ثورة سنة ١٩١٩ ، فشأن الحروب والثورات أن تزلزل القيم وتدعو إلى التغيير ، وتدفع إلى التطلع نحو الجديد . كذلك كان من أهم الأسباب ، هزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى ، واتضاح فشل فكرة الخلافة والجامعة الإسلامية ، بقيام ثائرين فى تركيا نفسها ، يلغون الخلافة ويرفضون الجامعة الإسلامية ، وينادون بفكرة الوطنية المحلية (٢) ، الأمر الذى شجع على تبنى الفكرة نفسها فى مصر ، بل على ظهور كتاب جرىء ، يقرر أن الخلافة ليست شكلا حتمياً للحكم يفرضه الإسلام ، وهو كتاب « الإسلام وأصول الحكم » للشيخ على عبد الرازق ، أحد كتاب جريدة السياسة (٣) .

ثم كان من أهم أسباب تفوق هذا الاتجاه كذلك ، ازدياد الاتصال

---

(١) اقرأ ما ورد عن هذا التيار فى : المصدر السابق . وانظر مراجع هذا المصدر .

(٢) انظر : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور محمد حسين ج ٢ ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣) لمعرفة تفاصيل عن قضية هذا الكتاب اقرأ : فى أعقاب الثورة المصرية لعبد الرحمن الرافعى ج ١ ص٢٢٦–٢٢٨ . واقرأ « المنار » م ٢٦ ج ٣ ص٢١٢ –٢١٧ و ج ٥ ص ٣٦٣ – ٣٩١ .

بالغرب فى المجال الفكرى بسبب عودة طائفة من الدارسين فى أوربا إلى مصر ، ممن كانوا يؤمنون بهذا الاتجاه الغربى ويرجون له ، من أمثال محمد حسين هيكل ومحمود عزمى وطه حسين .

— ٦ —

ثم عكس أدب تلك الفترة طابعها العام ، ومثل بخاصة أهم معالمها النفسية والثقافية والفكرية . فهو أولا قد سجل الشعور باستقلال الشخصية المصرية ، هذا الشعور الذى تمثل فى الدعوة إلى خلق أدب مصرى قومى ، التى تبناها بعض كتاب السياسة الأسبوعية وعلى رأسهم الدكتور محمد حسين هيكل . وهو ثانياً قد صور الإحساس بالحرية الفردية ، هذا الإحساس الذى دفع ببعض الكتاب إلى الجهر بآراء جريئة ، بل صادمة ، كما حدث من الدكتور طه حسين حول الشعر الجاهلى . وهو ثالثاً قد جسم روح الثورة المتطلعة إلى التغيير ، هذا التطلع الذى رأيناه عند الكتاب الممثلين للاتجاه الفكرى الغربى ، مثل دعوة العقاد والمازنى وشكرى إلى خلق أدب يمثل روح العصر ، وعدم تأسّى خطوات السابقين . وهو رابعاً قد مثل غلبة الاتجاه الفكرى الغربى ، وما تبعه من استقرار الفنون الأدبية التى اشتهرت فى أدب الغرب ، وهى الفنون القصصية والمسرحية ، ثم من ظهور فن التراجم واليوميات الذاتية ، التى يؤرخ فيها الأديب لذاته أو يكتب عن أيامه ، على نحو ما فعل طه حسين فى « الأيام » وتوفيق الحكيم فى يوميات « نائب فى الأرياف » .

فليس من شك فى أن استقرار الفنون القصصية والمسرحية — التى عرفت غضة وليدة فى سنوات سابقة — قد كان من أهم أسبابه طابع تلك الفترة ،

وهو غلبة هذا الاتجاه الفكرى الغربى الذى يتزعمه هؤلاء الكتاب الشديدو الصلة بأدب الغرب . وليس من شك أيضاً فى أن ظهور فنى التراجم الذاتية واليوميات ، قد كان من أهم دوافعه روح تلك الفترة ، التى من أهم سماتها الشعور باستقلال الشخصية والإحساس بالحرية الفردية ، بالإضافة إلى ما قد يكون من إحساس بالمرارة ورغبة فى الانطواء على الذات .

— ٧ —

وهكذا استقر القصص فى هذه الفترة كجنس أدبى ، ولم يعد متردداً بين استلهام التراث وتأسى القصص الغربى[١] ، فقد اتجه تماماً إلى الطريق الذى سلكه القصاصون الغربيون ، وتأسّى القوالب الفنية الغربية فى القصة القصيرة والرواية ، مستدبراً تلك المحاولات التى قصدت إلى استلهام التراث ، كما فعل المويلحى فى « حديث عيسى بن هشام » ثم متجاوزاً مرحلة التمهيد التى كانت تمزج القصة ببعض العناصر الغريبة عن فنها الصحيح ، كما فعل المنفلوطى فى « العبرات » . وإلى ذلك كله ظهر جيل من كتاب القصص المتمكنين ، الذين تفرغوا فنياً لهذا الجنس الأدبى ، ولم يشاركوا كأغلب الكتاب الكبار فى المجالات الصحفية والسياسية ، ولم يكن همهم المقال أو الكتاب أو ما إلى ذلك . فهؤلاء الكتاب القصصيون الخلص ، هم الذين جعلوا لهذا الجنس الأدبى مكاناً مرموقاً بين الأجناس الأدبية الأخرى .

---

(١) اقرأ عن هذا التردد فى : « تطور الأدب الحديث فى مصر » للمؤلف الفصل الثالث المقال رقم ٣ من المقالات الخاصة بالنثر وعنوانه «القصص بين استلهام التراث ومحاكاة أدب الغرب » .

وليس من شك فى أن القصص مدين فى استقراره — بجانب جهود هؤلاء الرواد — لما كان فى الفترة السابقة من محاولات ولد معها هذا الجنس الأدبى على صورته الفنية فى الأدب الحديث ، حيث كان ميلاد الرواية على يد الدكتور محمد حسين هيكل[١] ، كما كان ميلاد القصة القصيرة على يد محمد تيمور[٢] .

ثم إن القصص مدين فى استقراره — بجانب ذلك — لما كان من جهود المنفلوطى فى قصصه المعرب والمؤلف ، برغم كل ما أخذ عليه من عيوب ؛ فقد جذب القراء إلى هذا الجنس الأدبى ، وحبب إليهم متابعته ، بفضل ما كان لهذا الكاتب المقتدر من أسلوب مشرق وعاطفة حارة وخيال مجنح[٣] .

ولا يمكن أن ينسى فى هذا المقام فضل المترجمين والمعربين ، الذين نقلوا إلى العربية — فى هذه الفترة والفترة التى قبلها — نماذج مختلفة من القصص الغربى ، ومن هؤلاء الذين أسهموا فى هذا الميدان : يعقوب صروف ، الذى ترجم « قلب الأسد » عن « والترسكوت » ، ونجيب حداد ، الذى ترجم « الفرسان الثلاثة » عن « إسكندر دوماس » الأب ، وحافظ إبراهيم ، الذى ترجم « البؤساء » عن « فيكتور هوجو » ، وأحمد حسن الزيات ، الذى ترجم « آلام فرتر » عن « جوته » ورفائيل عن « لامارتين » . ومنهم أيضاً محمد السباعى الذى ترجم « قصة مدينتين » عن « تشارلز دكنز » . كما ترجم عدداً كبيراً

---

(١) اقرأ ما كتب عنه وعن ميلاد الرواية الفنية على يديه فى المصدر السابق نفس الفصل والمقال — المبحث « د » الذى عنوانه « ميلاد الرواية الفنية » .

(٢) اقرأ ما كتب عنه وعن ميلاد القصة القصيرة على يديه فى المصدر السابق نفس الفصل والمقال — المبحث « هـ » وعنوانه « ميلاد القصة القصيرة » .

(٣) اقرأ ما كتب عنه فى المبحث الذى عنوانه « القصة التهذيبية البيانية » فى المصدر السابق — نفس الفصل والمقال — المبحث « ب » .

من القصص القصيرة لمشاهير كتاب الغرب[١] . كما لا ينسى فى هذا المقام فضل أعلام آخرين كان لهم نشاط ملحوظ فى حركة الترجمة القصصية ، مثل : أحمد حافظ عوض ، وعباس حافظ ، وعبد القادر حمزة ، وإبراهيم المازنى ، ومحمد عبد الله عنان .

فهذه العوامل مجتمعة ، بالإضافة إلى روح ثورة سنة ١٩١٩ ، وما سببته من غلبة التيار الفكرى الغربى ، ومن رغبة فى خلق أدب مصرى ؛ قد منحت القصص استقراراً ، ووهبته قوة ، حتى احتل — منذ هذه الفترة — منزلة فى الأدب الحديث ، بعد أن كان بعض الكتاب فى الفترة السابقة يستحى أن يضع اسمه على عمل قصصى ، كما حدث للدكتور محمد حسين هيكل حين نشر « زينب » لأول مرة[٢] .

وفيما يلى تفصيل لما كان من أمر أهم فنون القصص ، فى الفترة التى يساق عنها الحديث :

---

(١) نشر معظم هذه القصص مؤخراً فى مجموعة بعنوان « مائة قصة » . وقد نشرها الأستاذ يوسف السباعى نجل المترجم .

(٢) كان ذلك سنة ١٩١٢ ، وقد كتب المؤلف على الرواية : (زينب : مناظر وأخلاق ريفية — بقلم فلاح مصرى) .